

## العفة

الحمد لله وسع كل شيء برحمته، وعمّ كلّ حي بنعمته، لا إله إلا هو خضعت الخلائق لعظمته، سبحانه يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، أحمده سبحانه وأشكره على سوايغ آلائه وجلائل منته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله خيرته من بريته، ومصطفاه لرسالته، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وعترته، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجه وطريقته.

أما بعد : فاتقوا الله تعالى أيها المسلمون، واعلموا أنكم إليه راجعون، وبأعمالكم مجزيين، وعليها محاسبون، وأنّ المصير حقّ إما إلى جنةٍ أو إلى نار، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٢٠١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: 70، 71]، ﴿ إِنَّ

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ  
ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ [الأحزاب: 15، 16].

عباد الله، ما طعم الطَّاعِمُونَ كالحلالِ الكفافِ، وما رداءٌ خيرٌ  
من رداءِ الحياءِ والعلَمِ فاف. العَفَافُ والعِفَّةُ. أيها المسلمون . سيمَا  
الأنبياءِ وجليَّةُ العلماءِ وتاجُ العبَّادِ والصَّالحاءِ. العَفَافُ سلطان من غيرِ  
تاجٍ وغنى من غيرِ مالٍ وقوة من غيرِ بطشٍ وخُلُق كريمة وصِفة نبيلة .  
هو عنوان الأَسْرِ الكريمة والنفوسِ الرُّكِيَّة الشريفةِ وذليل الترابِ  
الصالحة القويَّة. هو موجبٌ لظلِّ عرشِ الرحمنِ ذي الجلالِ كما في  
حديثِ الذي دَعَتَهُ امرأةٌ ذاتِ منصبٍ وجمالٍ فقالت : إني أخاف  
الله[1]. والعِفَّةُ والعَفَافُ سببُ إجابةِ الدعاءِ وتجاوزِ الأخطارِ كما  
ورد في حديثِ الثلاثة الذين انطبقت عليهم صخرةُ الغارِ [2].  
الْحَرَصُ عليه جِبِلَّةٌ في البشرِ وطبعٌ عند أصحابِ العقولِ وسليمِ  
الْفِطْرِ.

العِفَّةُ . أيها المؤمنون . كفُّ النفسِ عما لا يحِلُّ ولا يجُمَلُ  
وضبطُها عن الشهواتِ المحرَّمة وقصرُها على الحلالِ مع القناعةِ

---

والرِّضَا. إِنَّهُ خَلَقَ زَكِيًّا، يَنْبُتُ فِي رَوْضِ الْإِيمَانِ، وَيُسْقَى بِمَاءِ الْحَيَاءِ  
وَالتَّقْوَى. إِنَّهُ سَمَّوَ النَّفْسَ عَلَى الشَّهَوَاتِ الدُّنْيَا وَتَرْفَعُ الْهَمَّةَ عَمَّا لَا  
يَلِيقُ، بَلْ يَفِيضُ هَذَا الْخَلْقُ بِكُلِّ الْخِصَالِ النَّبِيلَةِ، فَصَاحِبُهُ لَيْسَ  
بِالْهَلُوعِ وَلَا الْجَزُوعِ وَلَا الْمُنُوعِ، كَمَا فِي سُورَةِ الْمَعَارِجِ : ﴿ وَالَّذِينَ  
هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ [المعارج:29]، ثُمَّ قَالَ : ﴿ أُولَئِكَ فِي  
جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴾ [المعارج:35]. إِنَّهَا جَنَّةٌ وَكَرَامَةٌ؛ لِأَنَّ الْعَفِيفَ  
كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ حَيْثُ أَكْرَمَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا عَنِ الدَّنَايَا، فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ فِي  
الْآخِرَةِ بِأَعْلَى الدَّرَجَاتِ وَأَحْسَنِ الْعَطَايَا، وَاسْتَحَقَّ مِيرَاثَ الْجَنَانِ؛  
لِأَنَّ الْمِيرَاثَ لِلطَّاهِرِينَ كَمَا فِي سُورَةِ آلِ مُؤْمِنُونَ : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ  
الْوَارِثُونَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾  
[المؤمنون:10، 11]. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ لَمَّا ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَهْلَ  
الْجَنَّةِ قَالَ : (( مِنْهُمْ عَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ )) [3]3.

وَحِينَ تُعْرَضُ الْقِصَصُ فَإِنَّ أَحْسَنَهَا قِصَّةُ يَوْسُفَ الْكَرِيمِ ابْنِ  
يَعْقُوبَ ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ يَكُونُ الْعَفَافُ سَيِّدَ الْمَوْقِفِ فِي  
ظَرْفٍ تَتَهَاوَى فِيهِ عَزَائِمُ الرِّجَالِ الْأَشْدَاءِ، فَضِلًّا عَنِ فَتَى غَرِيبٍ نَائِي  
الْأَهْلِ وَالْدِيَارِ، حِينَ رَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، ﴿ وَغَلَّقَتْ

الأبواب وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿ [يوسف:23]. ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ ، كلمة عظيمة في موقفٍ عَصِيبٍ لا يَقْوَى عليه إلا صاحبُ الإيمان ، فيصير عليه السلام رَغْمَ الوَعْدِ والوَعِيدِ وال سَجْنِ والتهديدِ، ويتجاوزُ المحنةَ، فاتاه الله الملكَ وعَلَّمَهُ من تأويل الأحاديث، وأعظم من ذلك أنه من عبادِ الله المخلصين.

وفيه من العِبَرِ أَنَّ العِقَّةَ عاقبتُها الغناء والاستغناء ونورُ القلب والبصيرةُ والضياء والعلمُ والفراسة والتوفيق؛ ذلك أَنَّ العِفَّةَ في حقيقتها مراقبةُ الله تعالى وخوفُهُ، ومَن راقب الله في خواطرِهِ عَصَمَهُ في حركاتِ جوارحه وأسبغ عليه رضاه، ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة:8]، ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ [الرحمن:46]، ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات:40، 41].

أيها المسلمون، ولاهتِمامِ الإسلام بهذا الجانبِ العظيم ولامتداحِ الله المؤمنين بقوله : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ [النساء:34] فقد حمى الله تعالى أعراضَ المؤمنين، وصانَ سَمْعَتَهُنَّ أشدَّ صيانةً لكرامتهن عند الله وحرمةِ جنابهنَّ فقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ

الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ  
عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ  
اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ  
لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ  
أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ [النور: 23-  
26].

بل إن من قدح في عرض العفيفة فقد استوجب الحدَّ وسقوط  
العدالة واستحقَّ صفةَ الفسق، ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ  
يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً  
أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: 4].

ثم تأملوا . رعاكم الله . كيف وصف العفيفات بالغافلات، وهو  
وصفٌ لطيفٌ محمود يصوّر المجتمع البريء والبيت الطاهر الذي  
تشبَّ فيه فتياته بعيداتٍ عن الدنيا والآثام، يصوّرهنَّ غافلاتٍ عن  
لوثاتِ الطَّبَاعِ السَّافِلَةِ ، غائباتٍ عن المعاني الرديئة، ثم تأمل كيف  
تتعاون الأقلام الساقطة والأفلام الهابطة لتمزق حجاب الغفلة هذا،  
ويتسابقون ويتنافسون في هتك الأستار وفتح عيون الصغار على ما  
يستحي منه الكبار، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ

يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿  
[النساء:27].

أيها الأحبة في الله : إنَّ العالمَ المنفتح على الجنسِ المتحللِ  
منَ الفضيلةِ يئنُّ اليومَ تحت وطأةِ الأمراضِ الوبائيةِ ويجأرُ من  
النشئتِ الاجتماعيِّ والتفكُّكِ الأسريِّ والتحللِ الأخلاقيِّ، كما  
تشكو نساؤه وأطفاله آلافَ الحالاتِ من الاغتصابِ وتجارةِ الرذيلةِ،  
والتي نافستِ تجارةَ الأسلحةِ والمخدراتِ، ويسمونها تجارةَ الرقيقِ  
الأبيضِ، فأين الحريةُ والأمانُ؟ ! وأين الطمأنينةُ والاستقرارُ في هذه  
الفوضىِ العارمةِ في اختلالِ الأخلاقِ والقيمِ؟!  
إنَّ الحريةَ الحقيقيةَ التي بناها الإس لام هي عندما يحسنَ أفرادُ  
المجتمعِ بالأمنِ في حياتهم وأعراضهم، فيتحرَّكونَ بحريةٍ وأمنِ،  
وتنتشرِ الثقةُ والطمأنينةُ وحُسنُ الظنِّ، ويتفرَّغَ الناسُ لمعاشهم وما  
يصلحُ دينهم وديناهم، وذلك حين يتربَّى المجتمعُ رجالاً ونساءً  
وينشؤونَ على مظاهرِ العفةِ والحشمةِ والورعِ ولزومِ أمرِ الله تعالى،  
فلا شكَّ و لا ريبه، ولا خيانةً ولا خوفَ، إنه الأمنُ والطمأنينةُ  
والحريةُ، ولذلك في صدرِ الإسلامِ الأوَّلِ لم يمنع ذلك صلاةَ المرأةِ  
في المسجدِ ومشاركتها الجيشَ في المعركةِ وطلبها للعلمِ ومداواةِ  
الجرحى وطلبِ الرِّزقِ، ولم يكن في أحكامِ الشرعِ ما يمنعها مصلحةً

لها أو لغيرها، بل كلُّه حفظٌ وصيانة كما قال تعالى: ﴿ ذَلِكْ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب: 59]. وإذا تحرَّكتِ المرأةُ الطاهرةُ والرجلُ الطاهر في البيئة الطاهرة وفق ما رسمه الله من أحكام بعيداً عن الشبهات والملوثات فلا سبيلَ لجرثومة أن تنفذ.

أيها المسلمون، وحيث إن أعظم أبواب الشرِّ وأوَّل مدخلٍ للشيطان هو إطلاقُ البصرِ وا لاختلاطُ لذا صارت أحكامُ الحجابِ والقرار في البيوت والأمر بغضِّ البصر للرجال والنساء، قال الحقُّ سبحانه: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: 30، 31]، بل حتى في الحديث العابر بين الرجل والمرأة الأجنبية عنه : ﴿ إِنَّ اتَّقِيَنَّ فَلَا تَخْضَعَنَّ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ [الأحزاب: 32]. إنه سدُّ لمنافذِ الشيطان كما في قول الله سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: 53].

أيها المسلمون، إنَّ الحياةَ الطاهرة تحتاج إلى عِزٍّ إلى عِزِّ الأَخيارِ، وأما عيشةُ الرذيلة فطريقها سهلُ الانحدار، والبيوتُ التي تظلمها العفَّة والحشمة تورق بالعزِّ والكرامة، أما البيوتُ التي يملؤها

الفحشاء والمنكرُ فلن تنبُت إلا بالذللِّ والمهانة، وإذا أمر الله تعالى  
بوقاية النفس والأهل من النارِ التي وقودها الناس والحجارة وأخبر  
النبي ﷺ أن كلَّ راعٍ مسؤول عن رعيته 4[5] فإنَّ المسلمَ يجب أن  
تكونَ له وقفةٌ لله لتجنُّبِ نفسه ومن يليه ما جلبته وسائلُ الاتِّصالِ  
والبُتِّ من ذبحٍ للفضيلة ونشرٍ للرذيلة وإماتةٍ للغيرة، وكيف يستسيغُ  
مسلمٌ هذا الغناء الم دمَّر؟! أين الحياء؟! أين المروءة؟! أين الحِفْظُ  
والصِّيانة من بيوتِ هيئاتٍ لناشِئتها أجواءُ الفتنة وجلبت لها محرِّضاتِ  
المنكر؛ تجرُّها إلى مستنقعاتِ الفحش جرًّا وتدعُّها إلى الخطيئةِ  
دعًّا؟! ومع أنَّ شهوةَ الجنسِ كشهوةِ الطَّعامِ قد تمتلئُ المعدة فتفتُر  
وقتًا عن طلبها إلا أنَّ الذين يجبِّون أن تشيعَ الفاحشة في الذين  
آمنوا لم يفتروا، بل ملَّؤوا الفضاءَ بكلِّ أنواعِ المثيراتِ والمغريباتِ،  
وتفتنوا في إثارةِ الشَّهواتِ وإيقادِ لهيبِ الغرائزِ في سَعارٍ أذهل  
الشیطان.

عباد الله : إذا طغيت الشهواتُ واختلطتِ النيات ، فسدتِ  
الأوضاع واضطربت الأحوال وحقَّ العذاب، وإن تُركَ الحبُّ على

---



الغارب، يعيش الناس بشهواتهم ويعبتون بأخلاقهم متجاوزين حدود  
الله بلا وازع ولا ضابطٍ وبلا رادعٍ ولا زاجر، فإن وعد الله حق، وسنة  
الله لا تحابي أحداً، ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةِ  
يُنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾  
[هود:116].

ومع كل ذلك التحذير، فإنَّ التحصين من الداخل والتربية  
الذاتية وزرع المراقبة لله في السرِّ والعلن مسؤو ولية الجميع، ﴿ وَمَا  
كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرْيَةَ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [هود:117].  
بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بسنة سيد  
المرسلين، أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم ولسائر  
المسلمين والمسلمات من كلِّ ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو  
الغفور الرحيم.

الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين،  
أحمده تعالى وأشكره، وأثني عليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله  
وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله،  
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد : أيها المسلمون، إنّ الغريزة الجنسيّة مطبوعة في دم  
الإنسان، والله تعالى هو الذي خلقها بأمره وعلمه وحكمته وابتلائه  
لخلقها، وجعلها وسيلة البقاء البشريّ، وهو سبحانه أعلم بما  
يُصلحها، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾  
[الملك:14].

إنّ الإسلام لم يتجاهل هذه الغريزة، ولم يقتلها بالرّهبانّيّة، ولا  
أطغأها بالإباحيّة، بل جعل لها شاطئاً آمناً تسبح إلى بحره ، وتطهر  
في مائه وتحيا ببقائه، إنّه الزواج، أنبل صفة عرفتها الإنسانيّة لتكوين  
الأسرة وتربية الأ ولاد ونشر الألفة والرّحمة وسكينة النفس في جوّ  
رؤيّ طهور، مع ضبط المشاعر وترشيدها نحو مكانها الصّحيح بدلاً

من ضياعها وتيهها في العَبَث والفساد . والمسلمُ مأمورٌ ببلوغ هذا  
المدى حتى يتحصَّن بالحلال : ﴿ وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ  
نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [النور:33] وقد كان من دعاء  
عباد الرحمن في القران : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ  
أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان:74].

وحتى بعد الزواج فينبغي تنمية جانب العفة والصيانة، ومنه ما  
يُشْرَع للمرأة من التَّحَبُّب لزوجها والتودُّد وحسن التبعُّل وقصر عينه  
لئلاً يتطلَّع لغيرها . وكذلك الزوج، يكفي زوجته، ويشيع عاطفتها  
بالكلمة الطيبة والعشرة الحسنة وجبر الخواطر وسدِّ مداخل  
الشیطان وأداء أمانة القِوامة في الأهل والأولاد والقيام بأمر الله في  
كل شؤون الحياة. والمؤمنُ أسيرٌ في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا  
يأمن نفسه حتى يلقى الله عزَّ وجلَّ، يعلم أنه مأخوذٌ عليه في سماعه  
وبصره ولسانه وجوارحه، ومن يستعفف يعقه الله، وفي الحديث :  
﴿احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظَكَ﴾[5]2] وَمَنْ كَرُمَ عِنْدَ اللَّهِ فَلَنْ يَخْزِيَهُ وَلَنْ  
يَسُوؤَهُ. أسأل الله تعالى لي ولكم الهدى والتقى والعفاف والغنى.

ثم اعلموا . رحمكم الله . أن الله تعالى أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه  
فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا  
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:56].  
اللهم صلِّ وسلِّم وزد وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى  
آله وأزواجه وذريته وصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.  
اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين،  
واخذل الطغاة والملاحدة والمفسدين...

الموقع الرسمي للقارئ الشيخ نبيل الرفاعي

<http://www.nrefaei.com>